اختلال التوازن الدرامي في اداء احمد زكي نتيجة مرضه كان سببا في احباط التجربة

أحزان «حليم» على الشاشة: سيرة ذاتية لرجل آخر

الفنان الراحل احمد زكي في فيلم «حليم»

..وابنه هيثم احمد زكي في نفس الدور فيلم «حليم»

القاهرة ـ «القدس العربي»

من كمال القاضي:

برغم مرور اكثر من ربع قرن على وفاة عبد الحليم حافظ في 30 اذار (مارس) عام 1977 الا أن سيرته لاتزال حية في وجدان الجماهير العربية العريضة الممتدة من المحيط الى الخليج، ولعل ذلك الخلود الفني للنجم الأسمر الكبير هو الذي جعل من مهمة توثيق حياته أمرا بالغ الصعوبة حيث العثور على نموذج له ذات الحضور والتاثير لم يكن يسيرا خاصة وأن ملامح شخصية عبد الحليم محفورة في اذهان معجبيه ومريديه، ومن ثم لا يمكن اقناعهم بالبديل، وهي المعادلة الصعبة التي وضع نفسه فيها المنتج عماد أديب، حين اختار الشاب هيثم نجل الفنان أحمد زكي ليلعب دور عبد الحليم في مرحلة الشباب بعد ان تدهورت صحة الأب أحمد زكي نفسه، وبات من الصعوبة بمكان أن يؤدي الدور بمراحله المختلفة قبل أن يرحل ويترك حلُم حياته معلقاً بين السماء والأرض فيصبح الرهان على الابن هو السبيل الوحيد للخروج من الأزمة التي أتصور انها تضاعفت بعد ادراك قدرات هيثم الحقيقية وحجم الهوة السحيقة بينه وبين عبد الحليم حافظ شكلا ومضمونا، فضلا عن اختلال التوازن الدرامي في أداء أحمد زكي نتيجة مرضه الشديد والذي كان سببا رئيسيا في احباط التجربة الفنية وتحويلها الى مشروع لاستثمار اسم عبد الحليم ومرض أحمد زكي دون اعتبار للقيمة الفنية بكل ابعادها، سواء المتصل منها بحياة عبد الحليم أو امكانيات أحمد زكي التي بدى فيها الوهن واضحا من ثقل المرض والاعياء، حيث عجز الفنان الكبير ملك التقمص عن الدخول الى عمق الشخصية فاكتفى بتقليدها من الخارج ومحاكاتها بشكل سطحي ابتعد كثيرا عن روح عبد الحليم الحقيقية وشخصيته التي اتسمت بالدهاء والذكاء والحكمة وسرعة البديهة وخفة الظل، وهي خصائص البناء الرئيسية في تكوين العندليب الانساني الذي جمع بين الرومانسية والواقعية وترك لصوته واحساسه العنان لينوبا عنه في ترسيخ القناعات الوطنية والسياسية ويحملان معاناته وآلامه لملايين الملايين من البشر، لم يكن عبد الحليم مجرد مطرب حباه الله بصوت عذب ولكنه كان مؤسسة اعلامية كبرى اعتمدت عليها ثورة يوليو التي واكب ميلاده الفني قيامها في نشر الوعي القومي والتعريف بدور الجماعات والافراد في العمل والنهوض والتحدي، ولم يخرج هذا الدور عن اطار الايمان الحقيقي والواعي بأهمية الثورة في احداث تغييرات جذرية على الصعيدين السياسي والاجتماعي، اضافة الى دور زعيمها وقائدها جمال عبدالناصر في مد جسور القومية العربية وقطع الطريق على الغزاة والمحتلين، الأمر الذي ينفي الادعاء بأن عبد الحليم حافظ كان مطربا للسلطة وبوقا لعبدالناصر طبقا لما تردد بين صفوف الحاقدين في سياق الحرب على عبد الحليم ومحاولة التقليل من تأثيره الوطني في مراحل الكفاح والنضال ابان وقوع النكسة عام 67 وهي الفترة التي أوردها السيناريست محفوظ عبدالرحمن وركز عليها المخرج شريف عرفة دون ربط هذه المرحلة بما تلاها من انتصارات في حرب الاستنزاف التي كبدت العدو الصهيوني خسائر جسيمة، بما يشي بقصدية غير مباشرة لاجتذاء السلبيات ووضعها في أطر بارزة لتقديم مسوغات الاعتماد للرقابة على المصنفات الفنية لجواز مرور الفيلم واعلان التضامن مع السلطة الرخوة في نبذها للحرب والتمسك بمبدأ طأطأة الرؤوس وتوسل السلام من الاعداء. ولعل ما يبرر هذا الظن ان المشاهد الأرشيفية التي تضمنها الفيلم ركزت ايضا على خطاب التنحي وافردت مساحة غير قليلة لكلمات عبدالناصر في هذا الصدد، غير ان انجازات تأميم قناة السويس لم يأت ذكرها الا في قرار الاعلام عام 56 مصحوبا بالعدوان الثلاثي كأنه الثمن الفادح الذي دفعته مصر للدفاع عن مقدراتها وحقوق شعبها، وهو الشرط الذي تفرضه الرقابة بشكل أو بآخر على الافلام التي تتعرض للحدث التاريخي لتفريغه من محتواه البطولي اتساقا مع سياسة وأد النوازع الثورية التي تبنتها المؤسسات الثقافية للدولة منذ ابرام اتفاقية «كامب ديفيد» مع الكيان الصهيوني أواخر السبعينيات!

هكذا كان العروج سلبياً على المحطات الوطنية في حياة عبد الحليم حافظ، اذ تم استعراض الهزيمة في بانوراما قتالية بدا فيها العدو منتصرا والجنود المصريون بؤساء يجرون ذيول الخيبة ويهيمون على وجوههم في الصحراء مجردين من السلاح والذخيرة، وقياسا على هذه الحالة الانهزامية جاءت ردود الافعال من قبل المبدعين والكتاب تنذر بالكآبة واليأس، فقد انطوى صلاح جاهين وعزف عن المشاركة واتسمت الروح المعنوية لدي النخبة المثقفة بالانهيار والتراجع لفترة طويلة الى ان لاحت في الأفق بوادر نصر جديد، وأظن أن ذلك ليس الا رسالة يبعث بها النظام من خلال فيلم «حليم» للجماهير كي تصرف النظر عن فكرة الحرب وتتمسك بالخنوع والعجز كمقابل للحياة الآمنة المستقرة، وأتصور أن هذا الفيلم كان فرصة ثمينة للنظام مكنته من غرس بذور الخوف في قلوب العامة والدهماء وتمرير سياسة القبول بالأمر الواقع، حيث لا يوجد في الامكان أبدع مما كان وللاسف كان عبد الحليم هو كبش الفداء في هذه الصفقة التجارية التي استهدف الروح الثورية للشعب ورمزا مهما من رموزه الفنية والوطني.

وعلى المستوى الدرامي جاءت السيرة الذاتية للعندليب الأسمر مقتضبة ومحدودة للغاية فقد انصب جهد السيناريست والمخرج على الجوانب العرضية في حياة البطل من قصص حب وهيام وبعض التفاصيل الانسانية، فيما افتقدت الرؤية السردية التي جاءت على لسان احمد زكي في سياق الحديث الاذاعي المطول الذي أجراه معه النجم السوري جمال سليمان الى العمق والقدرة على التجسيد والتنوع لا سيما أن احمد زكي لم يتحرك طوال زمن الفيلم والذي قارب على الساعتين من المقعد الجالس عليه باستديو الاذاعة وفقا للتخيل المفروض مما يؤكد استنزاف قدرته البدنية ونفاذ احتماله وصبره!

وبالعودة الى أداء هيثم في المرحلة الأولى من حياة عبد الحليم سنجد أن التعويل في تعويض القصور الذي تركه احمد زكي بعد وفاته قد ألقى بعبء المسؤولية عليه دون أن يتم تأهيله لذلك بشكل كافي، وهو ما ادى الى ظهور نقاط ضعفه وأوقعه في شرك المقارنة غير العادلة بينه وبين عبد الحليم من ناحية بين ادائه وأداء والده احمد زكي من ناحية اخرى!

ويأتي دور الشخصيات الثانوية في الفيلم معاضداً الى حد ما للشخصية الرئيسية خاصة منى زكي التي لعبت دور «نوال» التي تبناها عبد الحليم في حياته حتى وصلت الجامعة وانتهت حياتها بالانتحار فور علمها بنبأ وفاته، والجزئية الأخيرة المتعلقة بانتحار «نوال» لم يرد لها ذكر في الفيلم لأسباب غير معلومة، والتجربة في عمومها محاولة منقوصة لتوثيق حياة أشهر فناني العصر الحديث وكانت تحتاج لكثير من الدقة والتأني في اختيار الأبطال وزوايا التناول والابتعاد عن الهاجس التجاري وابتزاز الجمهور بمرض أحمد زكي الذي يظل ذنبه في رقبة عماد أديب!!

سعيد لأن «لخمة راس» تصدر ايرادات الأسبوع الثاني في الموسم السينمائي

أشرف عبدالباقي: أنا ورقة رابحة في السينما يراهن عليها المنتجون

القاهرة ـ «القدس العربي»

من عمر صادق:

أبدى نجم الكوميديا أشرف عبدالباقي ارتياحه بعد أن حقق فيلمه «لخمة راس» الذي بدأ عرضه منذ أيام ايرادات معقولة في ظل مباريات كأس العالم المقامة حاليا بألمانيا.

وأكد عبدالباقي بأنه توقع احتلال الفيلم قائمة السباق في الاسبوع الأول والثاني رغم حرص الجمهور على متابعة مباريات كأس العالم.

وأكد بان عرض أفلام الموسم الصيفي في هذا التوقيت الذي يتزامن مع كأس العالم مخاطرة كبيرة وغير محسوبة في ظل منافسة الرياضة للسينما. ولم ينف قلقه من منافسة فيلم «عمارة يعقوبيان» وتحقيقه لايرادات على اعتبار انه «البعبع» الذي يخيف الأفلام الأخرى لما يتضمنه من قضايا مدهشة ويشارك فيه نخبة من ألمع النجوم مثل عادل امام ونور الشريف ويسرا وآخرين.

■ رغم حضورك السينمائي الطاغي، فالجمهور يتساءل عن غيابك عن الدراما التليفزيونية؟

■ مازلت في انتظار سيناريو يعيدني للشاشة الصغيرة خاصة بعد نجاح آخر أعمالي في التليفزيون «مذكرات زوج معاصر» الذي كسر الدنيا عند عرضه على الشاشة.

■ هل المسألة لها علاقة بحسابات السينما والنجومية؟

■ أنا لا أفكر بهذه الطريقة، كل ما في الأمر هو دور يستفزني ويجعلني أعود للشاشة مرة اخرى.

■ قدمت مسلسل «حضرة المحترم» عام 1997 وبعدها بـ8 سنوات قدمت آخر أعمالك «مذكرات زوج معاصر» ألا ترى تباعد الفترة الزمنية؟

■ ليس مهماً الفترة الزمنية، المهم هو العثور على موضوع مكتوب بشكل جيد وقد انتظرت أكثر من 8 سنوات حتى يأتي دور يستفزني كفنان وابتسم الحظ أخيرا لي وعثرت عليه في «مذكرات زوج معاصر».

■ هناك من يرى بأنك عدت للتليفزيون بمفهوم السينما؟

■ ليس بأجر السينما طبعا، ولكنني أعتبر نفسي أقدم 30 فيلماً في التليفزيون من خلال هذا المسلسل.

■ فيلم «حب البنات» واجه العديد من الانتقادات خاصة لمخرجه خالد الحجر فهل يستحقه؟

■ أنا أيضا شعرت بالاستغراب من هذه الانتقادات التي وجهت له، فهو مخرج موهوب وصاحب تجارب سابقة وشارك في العديد من المهرجانات الدولية وحصل على جوائز وأنا شخصيا تحمست له بشدة بعد حماس الفنانة ليلى علوي خاصة بعد أن عملنا معه ولسنا عن قرب مدى تميزه واختلافه وتمكنه من أدواته كمخرج.

■ سمعنا كثيرا عن فيلم «رالي الفراعنة» الذي صورت أجزاء منه ثم توقف نهائيا، ما هو مصير هذا الفيلم؟

■ الفيلم تعرض لمشاكل انتاجية أدت الى توقفه فبعد أن تحمس له جهاز مدينة الانتاج الاعلامي برئاسة ممدوح الليثي وقمنا انذاك بمراسلة شركات متخصصة في سباق السيارات الذي تدور حوله الأحداث كأول فيلم مصري يخوض في مسألة ماراثون السيارات ولكن للأسف المشروع توقف نتيجة التكلفة الباهظة للفيلم رغم انني والمخرج علي ادريس والسيناريست أشرف محمد لم نضع في الميزانية التي قدمناها أية أجور لنا وذلك لأننا تحمسنا للتجربة.

■ تردد أن سبب تراجع جهاز السينما عن دعم وتمويل «رالي الفراعنة» فشل أفلامك الأخيرة؟

■ تقصد فيلم «صاحب صاحبه» تحديداً، وبالمناسبة هذا الفيلم لم يفشل، وحقق ايرادات قدرها 8 ملايين، واعتبره خطوة متقدمة في مشواري، أما بالنسبة لتوقف تجربة «رالي الفراعنة» فيرجع الى الميزانية الضخمة التي تتطلبها هذه الأفلام.

■ هل أثرت أفلامك الأخيرة على أسهمك في السينما؟

■ لا أعتقد لأنني والحمد لله لم يفشل لي فيلم، قد تكون هناك أفلام أصابها شيء من التعثر وهذا موجود في العالم كله ولا يوجد فنان يظل ناجحا على طول الخط ويجني ثمار نجاحه ولكن مشواره يتأرجح، يتقدم أحيانا للأمام ويتراجع خطوة للوراء، ولكن الحمد لله تشهد خطواتي تقدما الى الأمام بدليل أن المنتجين مازالوا يراهنون عليَ ويتحمسون لي، وهذا ايمانا منهم بأنني عملة ذهبية لا تصدأ أبدا.

■ هل تؤمن بالحظ في حياتك؟

■ لا أؤمن اطلاقا بالحظ، بل بتوفيق ربنا، وبأن لكل مجتهد نصيب، والمهم أن نرضى بالنصيب، وأنا والحمد لله راض كل الرضا عن نفسي وتوفيق ربنا.

اشرف عبد الباقي مع حنان ترك في احد افلامه

■ كثر الحديث عن سباق فني بينك وبين هنيدي والسقا وآدم، فمن الفائز، والخاسر فيه؟

■ الحديث عن بداية السباق وانتهائه افلاس، وضياع للوقت، لأنه كلام غير منطقي والمقصود منه إلهاؤنا عن الفن، لكن أستطيع أن أقول اننا جميعا دخلنا ماراثونا طويلا لا يوجد فائز أو خاسر ولكن كلنا فائزون، اننا نسعى جميعا لأن نكون عند حسن ظن الجمهور وأسلحتنا التألق والاجادة والسعي وراء موضوعات تجذب الناس.

■ كثير من الفنانين يحصرون أنفسهم في «قوالب» فنية معينة، هل تؤيد أنصار هذه المدرسة؟

■ لا أجد القوالب، ومنذ بدايتي وأنا أقدم أدوارا مختلفة ومتباينة وأحرص عليها منذ أول يوم تعاملت فيه مع الكاميرا، تباين الأدوار يحتاج من الفنان جهدا مضاعفا وذلك للهروب من القوالب الجامدة والأدوار الثابتة التي لا تتغير.

يرد على الانتقادات:

المؤلف مدحت العدل: «ستار أكاديمي» و«سوبر ستار» لا يتناسبان مع عاداتنا

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

المسلسل التلفزيوني «العندليب» الذي أقيمت له خصيصا مسابقة بعنوان «العندليب من يكون» وتقدم لها شباب من معظم الدول العربية ونجح فيها المطرب المصري شادي شامل، انتقده الكثيرون، وطرحنا تلك الانتقادات على مؤلف العمل مدحت العدل والمشارك في تنفيذ البرنامج.

في البداية سألناه: من صاحب فكرة التصويت في البرنامج برسائل sms لاختيار المتسابق الذي يجسد شخصية عبد الحليم، قال مدحت العدل:

جمال العدل هو الذي اقترح الفكرة ووافق عليها باقي فريق الانتاج باعتبارها فكرة جيدة تخدم المسلسل وبالنسبة لي كانت فرصة لاختيار حليم آخر غير أحمد زكي الذي جسد الدور في فيلم سينمائي، وتقدم للبرنامج سبعة عشر ألف متسابق.

■ ألا ترى أن برنامج «العندليب من يكون» مشابه لنوعية برامج تلفزيون الواقع؟

■ اتفق معك لكن ليس بالشكل المتعارف عليه ففي برنامجنا لا يظهر أحد وهو نائم أو في المطبخ كما نرى في تلفزيون الواقع، كل ما هنالك اننا ركزنا على التركيبة الشخصية للمتسابق. فكانت أهم شروطنا أن تكون لديه كاريزما، وأن يكون صوته مقبولا لأنني سأقوم بتركيب صوت عبد الحليم على كل أغاني المسلسل، وأحب أن أوضح أيضا أن نوعية برامج ستار اكاديمي وسوبرستار لا تتناسب عاداتها وتقاليدها مع عاداتنا، ولا مع شخصية عبد الحليم حافظ نفسه.

■ البعض يردد أن هناك متاجرة بسيرة عبد الحليم حافظ؟

يعلق مدحت العدل قائلا: قبل أن أجيب على هذا السؤال أحب أن أفهم أولا معنى كلمة متاجرة، كل ما في الأمر أن البرنامج كان سببا في عمل دعاية قوية للمسلسل، والعالم العربي انشغل بمن يجسد شخصية العندليب، وأرى أننا بذلك نكون قد نجحنا، وقامت لجنة تحكيم تضم اسماء كبيرة امثال صباح وهاني مهنى وغيرهما. وظهروا بشكل لائق ومحترم كما أن البزنس مشروع، وأظن أنه ليس عيبا حتى يتهمنا أحد بذلك.

■ الملحن حلمي بكر علق على برنامج «العندليب من يكون» قائلا: ما يحدث به ما هو إلا سوق خضار.

ويرد مدحت العدل: مع احترامي له فان حلمي بكر يهاجم كل الناس، وعندما شرعت في كتابة مسلسل عن عبد الحليم كنت أعي جيدا أن هناك من هم في صفي وآخرون ضدي.

واضاف: الكثيرون تاجروا بعبد الحليم، كل من تناول الطعام معه قدم كتابا عنه يحكي فيه ذكرياته، فلماذا الهجوم ضدي وضد العمل قبل أن يظهر للنور؟! المفروض ان ننتظر حتى ينتهي المسلسل ويراه الناس، رغم تأكيدي ان هناك من سيقول ما جاء في المسلسل غير حقيقي، وليس ذنبي انني لم اقم بعمل لجنة من كل نقاد مصر.

■ سمعنا عن خلاف بين آل العدل وآل أديب حيث غضب عماد الدين أديب منكم لأنه سبقكم وأنتج فيلما عن حليم مع أحمد زكي؟

يقول مدحت العدل: لا أساس لهذا الكلام من الصحة، نحن نحترم عائلة أديب ونحترم تاريخ الراحل أحمد زكي، وحتى أنفي شائعة الخلاف تم الاتفاق معي من قبل عماد الدين أديب أن اكتب فيلما للمطرب عمرو دياب من انتاج أديب ودخل المشروع مرحلة التنفيذ، لأن عمرو دياب مثال لقصة صعود يحترمها الجميع وهو فنان زكي ومحترم.

فضائيات

محللو حروب العرب التلفزيونيون: من مطربي الأعراس إلى كراسين المطاعم

حكم البابا*

■ مشاهدة الفضائيات العربية التي تغطي أخبار العدوان الاسرائيلي على لبنان هذه الأيام تقصّر العمر، لا لأن الهمجية الاسرائيلية تنتقم من لبنان انتقام حلاق في الجيش حظي برأس مجند مدلل مستجد، ولا لأن الدول العربية في هذه الحرب حولت نفسها بنفسها فجأة من دول طبيعية مستقلة تملك الجيوش المسلحة، إلى مجرد مدارس بائسة للتمريض لا تملك من الأسلحة لنجدة لبنان سوى الشاش والقطن والكحول الطبي، واتفقت لأول مرة في تاريخها على علم عربي واحد، وللأسف الشديد أنه من بين كل أشكال وأنواع الرايات المتاحة أمامها، لم تجد إلاّ علم الهلال (أو الصليب) الأحمر ليجمعها، وتنازل جنرالاتها وساستها بكل طيبة خاطر عن مسؤولياتهم القيادية والتاريخية والمصيرية لأطبائها وممرضيها ومسعفيها، واكتشفت أن الطريقة الأنسب والأكثر سلامةً لتطبيق شعارها الأثير بالروح بالدم نفديك يا فلسطين هو التبرع بعدة سنتميترات من الدم.

ولا لأن المجتمع الدولي يتابع الحرب الهمجية على لبنان بحذر ناقد سينمائي دعي لمشاهدة فيلم دموي بحضور منتجه وطاقمه الفني، فراح يبدي ملاحظات طفيفة على إخراج المعارك المبالغ به، وينتقد بلطف زيادة اكسسوار الجثث والضحايا الذي كان من الممكن اختصاره، ويغمز بتحفظ من الافراط في استخدام المؤثرات الصوتية التي أساءت لهارموني الفيلم.

صحيح أن أياًمن هذه الأسباب كفيل بتقصير العمر، لكن السبب الأكثر تقصيراًللعمر هذه الأيام من وجهة نظري كمدمن تلفزيوني، هو استخدام الفضائيات العربية المفرط لهذه الكمية الكبيرة من المحللين السياسيين والاستراتيجيين والعسكريين العرب الذين يظهرون منذ عشرين يوماً على الشاشات، ليلاً نهاراً، بدون كلل أو ملل، متنقلين من فضائية إلى أخرى للتكرم على مشاهديها بتحليل استراتيجي لمجريات الحرب، وتقديم رؤيتهم العسكرية لسير المعارك، وتوقعاتهم الجيوسياسية لمستقبلها، وتطميناتهم التبصيرية لنتائجها.

لا أعرف بالفعل من أين تأتي الفضائيات العربية بهذه الكمية المكلفة من المحللين السياسيين والاستراتيجيين والعسكرين العرب، الذين يتكرر ظهورهم في كل حرب يكون أحد طرفيها عربي أو مسلم، ليعيدوا في حرب العراق نفس ما قالوه في حرب أفغانستان بأسلوب من يقدم امتحاناً شفهياً في الحفظ غيباً عن ظهر قلب، ويكرروا في حرب لبنان ما سبق وقالوه في حربي أفغانستان والعراق بطريقة من يستخدم الورق الشاف لنقل صورة، والفارق الوحيد بين كلامهم في الحروب الثلاثة هو في اسماء الأماكن التي تستبدل للضرورات التي تفرضها جغرافيا أرض المعركة، ورغم حذر هؤلاء المحللين الشديد من الوقوع في أخطاء حين يمرون على ذكر أسماء الأماكن، إلاّ أن المتابع المدقق لابد وأن يسمع اسم قندهار يمر سهواً في حين يكون المقصود مرجعيون، ويلفظ اسم الناصرية خطأً بدلاً من بنت جبيل، ولو سئلت عن مصدرهم، وطريقة ظهورهم التي تشبه إلى حد كبير خروجا مفاجئا لأحد الجان من باطن الأرض، وأسلوب اختفائهم المفاجيء بعد كل هزيمة تلحق بالعرب كأن كل منهم يملك نسخة من طاقية الاخفاء جاهزة للاستعمال، فسأرد بسؤال وهل لديكم تفسير لظهور جيش من النمل في مكان ما في بيوتكم فجأة، ثم اختفاؤه بنفس الطريقة المفاجئة؟

وعن مدى جدية تحليلاتهم وصدقيتها، فإني أنصح متابعيهم بأن يفهموا كلامهم معكوساً، فإن تحدثوا عن تقدم على المشاهد أن يهييء نفسه لتلقي أخبار التراجع، وإن بشّروا بنصر فإن الهزيمة قادمة بدون أدنى شك، ووفقاًلتحليلاتهم فإني أكاد أجزم بأن المصدر الأساسي للمعلومات ـ التي يبنون وفقها سيناريوهاتهم للمنطقة العربية ـ هو قيامهم ببل أصابعهم بريقهم ثم رفعها في الهواء لمعرفة اتجاه الريح، فإذا كان حتى السياسيون العرب المحترفون المقربون من دوائر صنع القرار في بلدانهم من وزراء خارجية وسفراء ليس لديهم اطلاع كاف على آفاق ما يجري اليوم، فكيف يمكن لمحلل سياسي ربما يكون فنجان قهوة زوجته مرجعيته الوحيدة في التحليل، أن يقرأ ويحلل وينظّر لما يحضّر للمنطقة العربية، وإذا كان العرب يملكون هذا العدد الكبير من مراكز الدراسات الاستراتيجية التي يتربع مدراؤها على شاشات الفضائيات، ليفككوا العالم ويعيدوا تركيبه من جديد وكأنهم يتسلون بلعبة «ميكانو»، فمن الغريب أن لا يمر بذهن مدراء هذه المراكز الاستراتيجية سؤال ساذج قد يخطر لأحد مشاهديهم عن أهمية مراكزهم وجدوى دراساتهم وأبحاثهم الاستراتيجية، مع وصول العرب إلى هذه الحالة البائسة التي ليس في صالحها حتى مقارنتها بعصر الانحطاط العربي، ثم كيف يجرؤ عربي بالغ راشد بكامل قواه العقلية على تقديم نفسه باعتباره محللاً عسكرياً حالياً، ولواء أركان حرب سابق أو عميداً متقاعداً في واحد من الجيوش العربية، متجاهلاً ما قد يخطر في ذهن ولو مشاهد عربي واحد، عن قيمة التحليل العسكري أو التوصيف القتالي أو الخطة الحربية وهذه الآراء تصدر من فم ضابط سابق في جيش عربي، لم يدخل حرباً إلا وهزم فيها، ولم يخطط لمعركة إلا وخسرها، والجبهة الوحيدة التي قد يفتحها ويربح فيها هي الألعاب الحربية على شاشة الكومبيوتر، وكل معلوماته العسكرية لا تتجاوز فعلياً خطط الانسحاب وطرق التراجع وممرات الهروب الآمنة.

صورة المحلل السياسي أو الاستراتيجي أو العسكري العربي تقدم اليوم في الفضائيات بطريقتين، فإما أنه مجرد نمرة حماسية صوتية، تقدم بين فاصلين غنائيين وطنيين، ولولا غياب الموسيقا عن نمرته لاعتبرت امتداداً لهما، ويكاد يكون أقرب إلى مطربي الأعراس منه إلى المحلل السياسي أو الاستراتيجي أو العسكري، وعدة شغله محدودة، وهدف ظهوره لا يتجاوز سقف إشغال جمهور لا يفهم لماذا اختار الله الأمة العربية من بين كل أمم الأرض ليدخلها في التجارب والمحن، والمهارة التي تميز محللاً عن آخر ينتمون لهذا النوع السياسي أو الاستراتيجي أو العسكري من المحللين هي في الطريقة اللغوية والثقافية التي يستطيع بها قول كلمة (صامدون) بحيث يكون لها تأثير قرص البندول ومفعول حبة الفيتامين في نفس الوقت.

أما الصورة الأخرى التي تفضلها وتروجها عادةً المحطات السعودية (بالأصالة أو بالوكالة) للمحلل السياسي والاستراتيجي والعسكري العربي، فهي الأقرب إلى أداء كراسين المطاعم، الذي يعتبر الزبون ـ وهو هنا منذ حرب أمريكا على أفغانستان والعراق إلى العدوان الاسرائيلي على لبنان السياسة السعودية ـ دائماً على حق، وكل عمله يتلخص في تلبية الطلبات ونقل أطباق الطعام وقبض قيمة الفاتورة.

للأسف الشديد أنا أستعمل لوحة الكومبيوتر أحياناً، وقلم الحبر أحياناً أخرى لكتابة مقالاتي، وكنت أتمنى اليوم وفي هذا المقال بالذات، لو كان بإمكاني الكتابة بالبيف باف أو بالشيلتوكس، لأنهما المادتان المناسبتان لمواجهة التحليل السياسي والاستراتيجي والعسكري الذي يغزو الفضائيات العربية اليوم ليرش على الموت سكر!!

* كاتب من سورية
hakambaba@hotmail.com

وارضيات